حديقة المقتطف

ثلاث قصائد لميخائيل نعيمة

الباق

—

الجوع

—

الحائك

—

الوالد

قصة للكاتب النرويجي

بيورنسن

السباق

لا تقل يا أخي قد خسرتَ السباق !
فأنا وان اكن اخفَّ منك قدماً وأوسع خطىً ، فسبيلي وسبيلك ابداً يلتقيان في الفضاء الذي لا سبل فيهِ ولا شُعب

***

سريعة هي الريح ؛ ولكن النسيم الناعس الذي يلذها ، ثم ينام في احضانها ، ليس بأبطأ منها

والعصفورة المرفرفة فوق وكرها معها تعادت في الفضاء ، لا تستطيع ان تسبق الفراخ في الوكر

والنهر الذي يكرمن ذروة جبل معربداً مزبداً ، ليس بأسبق الى الأعماق السحيقة الساكتة من دمعة او قطرة ندى

***

قم بنا يا أخي ، قم بنا !
فالنهار ما يزال فتيًّا ، ونحن ما نزال في المضمار
وليس لنا ان نتساءل عمن هو السابق واللاحق الا من بعد ان ينصرم الزمان ويتقلص المكان
اما الآن فهات دموعك لنغرق فيها ضحكي ، طارحين عنا اثقالها القتَّالة للروح ولنسر في سبيلنا غير آبهين بالهازجين ولا بالساخرين الباركين على جوانب الطريق

الجوع

ألقت الاقدار في قلبي بذرة

وسرعان ما اشتبكت جذورها وتمادت ، وضخمت ساقها وتعالت ، والتفت أغصانها وتراءت الى ان حجبت عني الارض والسماء

وها هي اليوم مثقلة بثمارها التي لا أخال الملائكة يتذوقون مثلها

وانا الذي يغذيها بعصير قلبه : — وان اكن جائعاً حتى التلف — لا أجرؤ ان امد يدي الى ثمرة من ثمراتها

الحائك

انا هو المنوال والخيط والحائك

وأنا احوك نسيي من الاموات الاحياء ، اموات الامس واليوم والأيام التي لم تولد

وما احوكهُ بيدي لا يستطيع احد ان يحله حتى ولا يدي ! ها هي قصتي يا عابر الطريق

فصلّ معي لكيما تكون المحبة قائدة لمكّوكك مثلما هي قائدة لمكّوكي في هذه اللحظة التي اراك فيها على منوالي صورة سرية كالقدر وسرًّا سرمديًّا كالله

والآن سر في سبيلك ، ولا تقل لي وداعاً !

فأنا لا اقول وداعاً لأحد

أنا ماضٍ في حياكتي

[عن خليل هنداوي]

من الادب النرويجي

الوالد

مؤلف هذه الحكاية بيورنستيرن بيورنسون Bjornstjerne Bjornson ١٨٣٢ — ١٩١٠ وهو من اركان الادب النرويجي الحديث كان شاعراً ومؤلفاً قصصياً ومسرحياً وسياسياً وزعيماً من زعماء الشعب . ولحكاياته short tales مكانة عالية بين آثاره الادبية والحكاية التالية في نظر النقاد آية بديعة في بساطتها وايجازها

كان الرجل الذي تروى حكايتهُ في هذه السطور اغنى رجال مقاطعتهِ واعلاهم نفوذاً . وكان اسمهُ ثورد اوفرساس

جاء الى مكتب القسيس في احد الايام ووقف امامهُ بقامتهِ المديدة ونظرتهِ القوية وقال :

— لقد ولد لي ولد واريد ان اقدمهُ للعمودية

* وما عسى ان يكون اسمهُ

— فِينْ ، وهو اسم والدي

* ومن عسى ان يكون ضامنهُ

فذكرت اسماء طائفة من الرجال الاشراف فاذا هم من اكبر اقرباء ثورد مقاماً في المقاطعة

* فقال القسيس : وهل ثمة شيء آخر ؟

— فتردّد الفلاح الكبير قليلاً وقال : اريد ان يعمَّد ولدي وحدهُ

* اي انك تريدهُ ان يعمَّد في احد ايام الاسبوع

— يوم السبت القادم عند الظهر

* فسأل القسيس وهل ثمة رغبة اخرى
— كلاَّ . ثم وضع ثورد قبعتهُ على رأسهِ يتحفَّز للخروج
* فوقف القسيس . واخذ ثورد من ذراعهِ وقال : بقي ان اتمنى لك ان يكون ابنك نعمةً عليك

***

وفي احد الايام ، بعد ستة عشر عاماً جاء ثورد ثانية الى القسيس ودخل عليهِ في مكتبهِ . فقال القسيس بعد ان حدجهُ بعينهِ : حقاً انك محتفظ بفتوتك
— فقال : ثورد لانني لا اعاني همًّا ما
* فلم يردَّ القسيس على هذا القول ولكنهُ بعد هنيهة قال : ما هي رغبتك الليلة
— اتيتك الليلة في شأن آخر لولدي . انه ينتظم في الكنيسة غداً
* انهُ ولد ذكيٌّ
— ولكنني لا اريد ان ادفع رسم الكنيسة قبل ان اعلم أين تكون مكانته بين الشبان المتقدمين معهُ للانتظام فيها
* في المقدمة
— قيل لي هذا . دونك عشرة ريالات
* أليس ثمة خدمة اخرى استطيع ان أسديها . قال القسيس هذا وهو ينظر نظرة ثابتة في عيني ثورد
— كلاَّ . وخرج ثورد

***

ثم انقضت ثماني سنوات اخرى ، وفي أحد الايام سمع القسيس ضجة وصياحاً خارج مكتبه ، لأن جماعة من الرجال كانت تقترب منهُ وعلى رأسهم ثورد ، فتقدمهم في الدخول الى المكتب

فحدق فيهِ القسيس وعرفهُ . وقال :

* لقد أتيت مصحوباً الليلة

— لقد أتيت الليلة لاطلب اصدار رخصة بزواج ابني . انهُ سيتزوج كارن ستور ليون ابنة «ڤردستود» الواقف الى جانبي

* انها أغنى فتاة في المقاطعة

— فقال ثورد وهو يمرُّ كفهُ على شعره كأنهُ لا يعبأ : كذلك يقولون

فتكأ الكاهن على مكتبهِ كأنهُ غارق في بحار التأمل . ثم دوَّن الاسماء في كتابهِ، وعلَّق عليها بما يرى ، وتقدم الرجال من محبة ثورد ووقَّعوا . ثم ألقى ثورد ثلاثة ريالات على المكتب

* فقال القسيس : حقي منها ريال واحد فقط

— اعلم ذلك حق العلم ولكنهُ وحيدي واريد ان يكون زواجهُ فخماً

فاخذ القسيس المال

* هذه هي المرَّة الثالثة التي اتيتني فيها في شأن ولدك

— نعم : ولكنني انتهيت منهُ الآن . قال ذلك وهو يطوي محفظتهُ في جيبهِ ثم ودَّع وانصرف وتبعهُ صحبهُ

***

وبعد انقضاء اسبوعين على ذلك ، كان الرجل وابنهُ يجذفان في زورق قاصدين الى ستور ليون ليتمّا تدبيرات حفلة الوقاف . كان الجوّ صافياً والبحيرة كأنها مرآة زرقاء

واذ هما يجذفان قال الفتى : هذا المقعد متقلقل . ووقف في الزورق يبغي تثبيت قطعة الخشب التي كان جالساً عليها . ولكن القطعة التي وقف عليها ، زلقت من تحت قدميهِ ، فرفع ذراعيهِ في الهواء ، وصاح وسقط في البحيرة

فصاح والدهُ وقد قفز الى قدميهِ ومدَّ مجذافهُ : تمسَّك بهذا المجذاف . وبعد ان حاول الفتى ان يمسك بالمجذاف ، مرة او مرتين ، على غير طائل ، تصلَّب جسمهُ

فصاح الوالد : اصبر قليلاً . وجعل يجذف نحو ابنهِ . ولكن الفتى انقلب على ظهرهِ ، ونظر الى والدهِ نظرة طويلة وغاب في الاعماق

فلم يكد ثورد يصدِّق ما حدث . فجلس في الزورق المستقرّ ساهماً . يحدق في البقعة التي غاص فيها ولدهُ ، كأنهُ عائد بلا ريب الى سطح الماء . فرأى اولاً فقاقيع

صغيرة على سطح الماء ، ثم اخرى ، و اخيراً رأى فقاعة كبيرة تنفجر واذا البحيرة عادت ساكنة صافية كالمرآة

ويقول الناس انهم شاهدوا الوالد ثلاثة ايام بلياليها يحدق حول تلك البقعة غير عابىء بالاكل ولا بالشرب . كان يبحث عن جثة ولده . وفي فجر اليوم الثالث ، وجدها ، فحملها بين ذراعيه وتوغل بها الآكام الى مزرعته

***

وبعد انقضاء نحو سنة على ذلك اليوم ، كان القسيس جالساً في مكتبه ، وقد ساء مساء خريف كئيب ، اذ رأى في المجاز امام بابه رجلاً يبحث عن قفل الباب ليفتحهُ . ففتح القسيس الباب ، واذا هو امام رجل طويل نحيف محني الظهر ابيض الشعر . خدّق فيهِ طويلاً قبل ان عرفهُ . لانهُ كان صاحبهُ ثورد

* فقال القسيس وهو واقف امامه : انت متأخر في عودتك الى دارك

—فقال ثورد : نعم . وتهالك على مقعد

فجلس القسيس كذلك ، كأنهُ ينتظر ، وبعد سمت طويل قال ثورد

— معي شيء اريد ان اعطيه للفقراء . اريد ان يسرّ هبة باسم ولدي . ثم وقف ووضع على المائدة مبلغاً من المال وعاد الى مقعده

فاحصى القسيس النقود . وقال

* هذا مبلغ كبير من المال

— هو نصف ثمن مزرعتي . فقد بعتها اليوم

فصمت القسيس طويلاً ثم قال لثورد بلطف و تؤدة وماذا تبغي ان تعمل الآن

— خيراً مما فعلت في الماضي

ولبثا هنيهة صامتين . الوالد ذابل النظر يحدق بالارض . والقسيس يحدق بثورد ثم قال القسيس متمهلاً متلطفاً:

* اظن ان ولدك قد اسبغ عليك النعمة الحقيقية اخيراً

— اني على رأيك

والتفت الى القسيس فاذا دمعتان كبيرتان تنحدران على خدّيهِ